امین

تعمیر جامعات افضل

378:A51nA:c.1
امين ،عثمان
نحو جامعات افضل
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023577

378:A51nA

أمين ، عثمان .

نحو جامعات أفضل .

378
A51nA

JUN 1 69

1 - JUN 69

10 FEB 1971

13 OCT 1971

JAFET LIB.
- 1 OCT 1978

JAFET LIB.
26 MAY 1994

نحو جامعاتٍ أفضل

الطبعة الأولى ١٩٥٢

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية
لأصحابها صبحي وشركائه
١٦٥ شارع محمد فريد . القاهرة

378
A51nA

نحو جامعات أفضل

تأليف

الدكتور عثمان أمين

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

جامعة القاهرة

مكتبة الأنجلو المصرية

القاهرة ١٩٥٢

إهداء

إلى الأستاذ الكبير محمد توحيد السلحدار الذى أثارت ندوته الأدبية ولا زالت تثير كثيراً من الآراء ،

وإلى أصدقائى الأحرار أعضاء هذه الندوة « السلحدارية » ،

أهدى هذه الرسالة .

عثمان أمين

تصدير

للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن

ما رأيت - فى تاريخ التراجم العربية - مترجما أطال الصحبة الروحية لمترجم له كما صنع الدكتور عثمان أمين مع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، حتى كاد يكون التلازم بين عثمان أمين و بين محمد عبده كالتلازم عند النحويين مثلا بين الصلة والموصول .

ولقد نام الشيخ محمد عبده وشبع نوما أبديا فى الوادى الذى يطول فيه بالمدلجين الرقاد . ولكن الدكتور عثمان أمين يظل ساهرا متيقظا فى كل مناسبة ، ليكشف من حياة الإمام ما غيبته الأيام . فهو تارة يحدثنا عن الشرق والغرب فى رأى الإمام ، وطوراً يحدثنا عن رأيه فى مسألة من المسائل التى تشغلنا اليوم ، وهى علاقة العمال بأصحاب الأعمال ، ومرة يحدثنا عن رأى الشيخ فى السياسة ، ورابعة عن رأيه فى تعدد الزوجات . ولا ينتهى الدكتور من حديث عن الشيخ إلا

إلى حديث ، حتى أشفق الكثيرون منا أن يُنسى محمد عبده صديقَنا الدكتور عثمان كل من عداه من الرجال .

* * *

ولكن الدكتور عثمان لا ينسى لأصحاب الفضل فضلهم ، سواء أكانوا من أهل الشرق والغرب ، وسواء أكانوا فى القديم والحديث فقد صاحب الرواقيين من اليونان ، ومشى معهم فى الرواق وفى غير الرواق ، وعرض أخلاقهم فى كتابه « الفلسفة الرواقية » ، الذى يعد أول بحث من نوعه فى اللغة العربية .

ثم ظل الدكتور سائراً خلال العصور ، وعيناه تارة إلى السماء ، وتارة إلى الأرض ، على غير ما صنع ذلك الحكيم الذى كان يراعى النجوم فزلت قدمه لأنه لم يراع ماتحت قدميه . . أقول ظل الدكتور سائراً حتى وصل إلى « ديكارت » ، وكان الناس فى مصر وفى غير مصر من البلاد العربية لا يعرفون عنه إلا اسمه ، وقليل منهم من عرف شيئاً عنه ؛ فعرفهم عثمان به فى كتاب تلقفه الناس وتخطفوه وتقبلوه بكثير من الرضى والسرور ، حتى أعيد طبعه غير مرة .

* * *

والدكتور عثمان أمين من الأصوات الجامعيـــة القليلة التى لا تحب الخفوت ولـكنها تحب الجهارة والانتشار . فلا تـكاد تخلو مجلة أو صحيفة أو إذاعة فى مصر من حديث له ، طويلا كان أم قصيرا ، عربيا كان أم غير عربى ؛ لأنه لا يرى الفلسفة انطواء على النفس أو عكوفا على الذات ، أو تفردا فى الأبراج العاجيـة ، ولأنه على ما يبدو لى لا يحب الفلسفة الصامتة لأنها فلسفة الموت . . إنه يحب فلسفة الـكلام لأنها فلسفة الحياة : وجد نفسه مرة وهو طالب بباريس فى مؤتمر لديكارت بمناسبة مرور ٣٠٠ سنة على مقـــاله « المنهج » فوجد السكوت من فضة ، والـكلام من ذهب ، فألقى كلمة تذكارية على المؤتمرين ؛ وسافر مرة إلى فلسطين سنة ١٩٤٥ فلم يسكت بل وجه نداءً إلى البلاد العربية ، يدعو إلى إنشاء جامعـة علمية عربية فى القدس . وانتخب الدكتور فى صيف سنة ١٩٥١ عضوا فى « المؤتمر الدولى للفلسفة السياسية بباريس » ، فانتهز الفرصة وسافر إلى البقعة التى ولد فيها ديكارت ، ليشهد الأرض التى أنبتته ، فـكان وفاء من صديقنا أن يعرج على ديار الفيلسوف صاحب « التأملات » ، خشية أن يقال فيه : تمرون الديار ولم تعوجوا . . .

وهنـاك لم يخرج الدكتور على مألوف طبعه من النشاط والـكلام ، فألقى محاضرة فى الجمعية الديكارتية عن « أثر ديكارت فى مصر » ، وهو أثر لصديقنا فيه فضل كبير .

وإذا كان للفلسفة من الدكتور عثمان جانب ، فلتقديس الجمال منه جانب لايضيعه . . فلم يفته وهو فى باريس فى صيف سنة ١٩٥١ أيضا أن يتحـدث عن « سحر باريس » بحديث أذاعته له محطة الإذاعة الفرنسية . فلما قرأنا له هـذا الحديث الفاتن قلنا : هذا هو السحر ، لا سحر بابل . . !

ولا تمر مناسبة من غير أن يكون فيها للدكتور عثمان رأى جهير ولو كان فى بضعة من السطور .

* * *

والدكتور عثمان جامعى أصيل ، تخرج فى الجامعة المصرية طالبا وعاد إليها مدرسا ، بعد فترة طويلة قضاها فى السوربون ، عضوا فى بعثة علمية ؛ ولهذا كان للروح الجامعية عنده اعتبار فوق أى اعتبار .

والجامعة عنده هى جزء من كيانه ، أحبها لأنه أحب فيها ماضيه

العلمى الطويل ، ولأنه رأى فى الغرب كيف تكون الجامعات روحا وفكرة ، واستقلالا وشخصية . أحس يوما ، من عهد غير بعيد ، أن الجامعة المصرية فى خطر ، فكان أشجع الجامعيين فى إبداء الرأى والمصارحة به .

وعجب الناس أن يسمعوا من ابن الجامعة وأحد أساتذتها كلاما لا يُسرّ له كثيراً عشاق الثناء ، لأنهم تعودوا دائما أن يشموا روائح البخور . . .

وألقى الدكتور القنبلة فى صحيفة سيارة كبرى ـ الأهرام ـ وترك الجامعيين بعدها يتجادلون ، وما عليه طال الجدال أم قصر ، هزل أم جد ، لأنه رضى بحق عن نفسه حين اطمأن إلى أنه قال كلمته ، و بلغ رسالته .

هذه الكلمات التى أرسلها الدكتور عثمان أمين فى سبيل الجامعة والفكرة الجامعية الأصيلة هى اليوم بين يدى القراء الكرام ، فى هذه الصفحات .

محمد عبد الغنى حسن

الجامعة فى خطر *

يتحدث الناس ويكتب الكتاب عن مشروع إنشاء جامعة ثالثة بأسيوط . وليس يسعنى كمصرى غيور على مصالح وطنه ، وكجامعى تخرج فى الجامعة المصرية ، وأوفد فى بعثة طويلة بأوروبا ، ومارس التعليم فى جامعتى فؤاد وفاروق منذ سنوات ، إلا أن أرحب بهذه الفكرة ، وأحمد أولى الأمر عليها ، وأستحثهم على تحقيقها ؛ فليس أحب إلى نفسى من أن أرى مصر وقد استعادت مكانتها العلمية القديمة ، فكثرت فيها الجامعات المحترمة ، وانبثق منها نور العرفان ، وازدهرت فيها الحضارة الحقيقية التى عرفتها بلادنا فى غابرا لزمان يوم أن كانت حضارة الغرب فى ضمير الغيب .

* * *

ولكن ترحيبى بانشاء جامعة فى أسيوط ينطوى مع ذلك على كثير من التحفظات : فإننى أعتقد أن مصر، وقد تبوأت هذا المركز

---

* الأهرام ١٠/٨/١٩٤٨

الممتاز فى العالم العربى الحديث ، خير لها أن تملك جامعة واحدة بالمعنى الصحيح ، من أن تملك معاهد كثيرة للتعليم هى « جامعات » بالاسم فحسب ؛ ومعنى هذا أننى أحب أن تستقر الجامعتان القائمتان الآن على أسس سليمة قبل أن نشرع فى إنشاء جامعة ثالثة فى أسيوط : فليس المهم أن يكثر عدد الجامعات ، بل المهم أن تؤدى رسالتها وتنتفع البلاد منها . وإذن فيتعين علينا الآن أن نسائل أنفسنا هل توافرت فى جامعتى القاهرة والاسكندرية الشروط اللازمة لتيسير أداء تلك الرسالة أم لم تتوافر ؟

والجواب الصريح على هذا التساؤل هو أن جامعتى فؤاد وفاروق بعيدتان عن معنى « الجامعة » كما يفهمه العارفون ، ومازالتا عاجزتين عن أداء رسالتهما أداءً تاما كما يريدها الوطنيون المخلصون .

* * *

وعندى أن قصور الجامعتين عن تحقيق معناها ورسالتهما هو قصور من حيث الشكل ومن حيث الموضوع كما يقول القانونيون .

أما من حيث الشكل ، فيلاحظ أولاً أنه ليس لجامعتينا نظم مرعية ولا تقاليد ثابتة ، تكفل لها الاستقرار وتجنب التخبط

والارتجال الذى يصاحب كثيرا من القرارات . ويلاحظ ثانيا أنه ليس لهما طابع علمى متميز ، ولا شخصية معنوية قوية تكفل لهما الاستقلال عن وزارة المعارف ، وتجعلانهما أهلا لحمل مشعل الحرية وقيادة الرأى العام فى البلاد . ونلاحظ أخيراً أن هناك اعتبارات أخرى تتأثر بها الجامعتان غير اعتبار العلم وحده : فلم يعد خافيا على أحد أن تعيين أعضاء هيئة التدريس أو نقلهم أو ترقياتهم أو انتداباتهم يراعى فيها ، أغلب الأحيان ، اعتبارات أخرى غير الكفاية والمؤهلات الحقيقية أو الانتاج العلمى الصحيح .

* * *

أما من حيث الموضوع ، فنلاحظ أن مستوى التعليم فى الجامعتين قد هبط هبوطا محسوسا منذ اليوم الذى عدل فيه أولو الأمر عن استقدام كبار الأساتذة الأجانب ، واكتفوا بالمتوسطين من الأساتذة المصريين أو الأوروبيين .

ولا حاجة بى إلى القول بأننى أحب بالطبع أن يكون أساتذة الجامعات عندنا مصريين ومصريين أصيلين ؛ ولكن الحقيقة الواقعة هى أن جامعتينا حديثتان ، ومازال أمام أساتذتهما جهود علمية كثيرة شاقة قبل أن تتكون منهم طبقة يصح أن تقارن بأساتذة الجامعات

الغربية . وعندى أن الوطنية السليمة تقتضى الاعتراف بهذا الأمر فى شجاعة ، والعمل على مداومة الاستعانة بكبار الأساتذة من الجامعات الأجنبية . وليس هذا بدعا : فكثير من البلاد الغربية العريقة فى التقاليد الجامعية لا تأنف من دعوة الممتازين من أساتذة الجامعات الأخرى يحاضرون فيها أو يعرضون ثمار بحوثهم وتجاربهم

وكذلك هبط مستوى التعليم الجامعى وضاعت قداسته ، منذ جرى أولو الأمر على طريقة عجيبة فى فهم النظام الجامعى والروح الجامعية ، فملأوا كليات الجامعة بأفواج من « المعيدين » الناشئين أو من فى حكمهم من مساعدى المدرسين . وهؤلاء وأولئك هم غالبا من حملة الشهادات العالية ؛ ولا ننكر أن فيهم شبابا أذكياء ومثقفين جديرين بكل تشجيع وتقدير ؛ ولكن ينبغى أن نلاحظ أن أكثرهم لا يمضى على تخرجه من المعاهد المصرية إلا فترة قصيرة قد لا تتجاوز الشهرين فى بعض الأحيان ، وأكثرهم لم يرسلوا فى بعثات إلى الخارج ، ولم يمارسوا التعليم فى المدارس الثانوية ، ولم ينالوا من الثقافة العامة ولا من تجارب الحياة إلا قسطا ضئيلا ؛ وعلى الرغم من هذا وبين عشية وضحاها ، تجدهم وقد أسندت إليهم مهام

التدريس فى الجامعة ، يدرسون لطلاب كانوا بالأمس القريب زملاء لهم فى طلب العلم . فكان لذلك أثره المحتوم فى قلة ما يتمتع به أولئك المعيدون من «الهيبة» والاعتبار : وهذان هما من غير شك أمران ضروريان لمن يقوم بمهمة الإرشاد والتوجيه .

يضاف إلى هذا العامل النفسانى الخطير عوامل أخرى أدت إلى هذا الهبوط الملحوظ : منها اضطرار أكثر الأساتذة والمدرسين إلى الانشغال بكسب المعاش ، والسعى وراء الترقيات والدرجات ، والانصراف عن وظائفهم الأصلية ، وهى خلق البيئة العلمية داخل الجامعة وخارجها . وقد نتج عن هذا أن أصبح القائمون بالتعليم يؤدون واجباتهم أداء آليا : يقتصرون فى التثقيف على تلقين الطلاب نظريات مجردة محفوظة غير مفهومة ولا مهضومة ، ويستعملون فى دروسهم أمثلة جامدة منقولة مبذولة . وكأنه لم يخطر ببالهم أن يبينوا للطلاب أن مهمة العقل أن يحكم القلب ، وأن من اللازم أن يعرف الإنسان نفسه لكى يستطيع أن يفكر تفكيرا سليما ، وأنه لا بد للمرء أن يفكر تفكيرا سليما لكى يحيا حياة طيبة فاضلة . ونتج عن ذلك أيضا أن زهد الطلاب فى الدروس والمحاضرات التى تلقى

فى الكليات ، وقل إقبالهم على قراءة ما يكتبه الأساتذة من بحوث ومقالات ، وقصروا همهم على أن يحفظوا عن ظهر قلب كراسات ومذكرات ، محشوة بتعريفات وتقسيمات وتواريخ وأسماء وجداول واحصاءات ، يرونها وسائل مضمونة لاجتياز الامتحان بسلام ، والظفر « بالشهادة » التى هى عندهم غاية الغايات .

* * *

وعندى أن المسئولية فى هذه الحال المحزنة ليست كلها واقعة على الطلاب ، وإنما المسئول الأول هم زعماء الأحزاب السياسية والمدبرون لسياسة التعليم العام ، والمهيمنون على التعليم الجامعى بوجه خاص . فليس ينازع أحد اليوم فى أن الأحزاب السياسية فى مصر قد أغرت الطلاب بالانصراف عن الدرس والتحصيل ، وأوهمتهم أن عليهم واجبا وطنيا يتنافى مع واجبهم الجامعي أو العلمى . وقد أصبح واضحا للعيان أن المهيمنين على التعليم فى جميع العهود لا يعنيهم إرساء النظم الجامعية على أسس ثابتة متينة بقدر ما يعنيهم النجاح الوقتى أو الظفر الحزبى . فلم يكن عجيبا بعد هذا كله أن نرى أكثر عمداء الكليات وكبار أساتذتها زاهدين فى طول الخدمة فى السلك الجامعى مبادرين إلى تلبية نداء المغريات الخارجية ، منتهزين الفرص للتخلى

عن مراكزهم التعليمية إلى مناصب « أرقى » فى السلك الحكومى مع أن عهدنا بأساتذة الجامعات فى البلاد الأوروبية أنهم يعتزون بمكانتهم الجامعية اعتزازا يجعلهم يؤثرون شرف الأستاذية على منصب الوزارة نفسه . ولكن قد يكون لعمدائنا وأساتذتنا بعض العذر فى سلوك هذا السبيل : فلعل ملاحظاتهم على الجامعة ، وتجاربهم فى كلياتهم ، وسيطرة العقلية البيروقراطية حتى فى البيئات العلمية ، جعلتهم يقنطون من الإصلاح ، أو يختارون طريق الأمن والراحة .

* * *

إن فكرة الجامعة شىء ومظهرها الخارجى شىء آخر . فشيّدوا ما طاب لكم من المبانى الفخمة ، واملأوها بما شئتم من أساتذة ومدرسين وطلاب وسعاة وفراشين ، وأطلقوا عليها ما حلا لكم من أسماء المعاهد والكليات ، فإن لم تحرصوا فيها على « الروح الجامعية » فلن تظفروا منها بغير ما تعرفون فى المدارس الثانوية .

هذه كلمة صريحة أسوقها إبراءً لذمتى وأداءً لواجبى ؛ وأنا أعلم أن هذه الصراحة ستغضب كثيرين ؛ ولكنى على الرغم من ذلك لا أستطيع أن أكتم الشهادة ؛ وهأنذا قد بلغتها حين نبهت قومى إلى أن الجامعة فى خطر .

رسالة الجامعة *

تكوين الصفوة المختارة وتقدم المعارف

الجامعة فكرة ، ولكل جامعة حديثة رسالة يجب أن تؤديها، ورسالة الجامعة تنتظم غرضين أساسيين : الأول تكوين صفوة مختارة من شبيبة الأمة و إعدادها لقيادة بلادها . والثانى العمل على تقدم المعارف الإنسانية بتشجيع البحث العلمى البرىء .

* * *

١ — أما الغرض الأول وهو تربية الصفوة وتكوين رجال قادرين على العمل فى تنمية موارد البلاد المادية والعقلية والأخلاقية والفنية ، فهو الذى دعا إلى تنظيم الجامعات بحيث تنقسم كل واحدة منها إلى كليات مختلفة ؛ و بعبارة أخرى أن تكون الجامعات أشبه بمدارس مهنية كبرى تتناول جميع المهمات الاجتماعية التى تقتضى تطبيق المعارف المكتسبة .

وهذا النوع من التعليم يتطلب من جانب من ينقطعون له

---

* الأهرام ١٦ / ١٢ / ١٩٤٨

استعدادا عقليا وأخلاقيا خاصا ، يقوم فى صميمه على الإخلاص للعلم واحترام الحقيقة . وإذا رسخت هذه العقلية عند القائمين بالتعليم الجامعى ـ سواء كانوا رياضيين أو بيولوجيين أو مؤرخين أو لغويين أو اجتماعيين ـ أصبحوا جميعاً علماء فضلاء ، قد تجاوزوا مهنة المعلمين وصاروا المربين الأوائل فى الأمة . وهذا الاعتبار وحده يجعل من أوجب الواجبات على الدولة أن تكفل لأساتذة الجامعات بين خدام الوطن منزلة رفيعة .

ولما كانت المهمة الأولى للجامعة أن تعمل لإعداد الصفوة من الشبيبة لقيادة بلادها ، فلا بد من توجيه هذه الشبيبة توجيها صحيحاً يعدها للنجاح فى معترك الحياة ، ويؤهلها لأن تكون دائما شبيبة عصرية متطورة طامحة متوثبة ، لا شبيبة رجعية راكدة قانعة . ومن أجل هذا وجب عليها أن تكون عالمة بما يجرى فى بلادها وخارج بلادها ، أى أن تكون واقفة على الحركات السياسية والاجتماعية الكبرى التى تسيطر على شئون أمتها وسائر أمم العالم فى العصر الذى تعيش فيه . وطريق الشبيبة الجامعية إلى ذلك هو الدرس الجدى والاطلاع الدائم على الكتب والبحوث ، لا التقليد المنفعل ، ولا مطاوعة النزوات الشخصية العابثة ، ولا الانسياق وراء الدعايات

السياسية الفاسدة أو الأهواء الحزبية المضللة . ويجب أن يكون واضحا لعقلاء الطلاب أن الاشتغال بالسياسة القومية العامة شيء ، والاندماج فى مظاهرات الخصومات الحزبية المغرضة شيء آخر .

وبديهى أن آفة التعليم الجامعى هو الانحصار فى الدائرة الضيقة دائرة الشهادات أو « الدبلومات » التى هى ألد أعداء الثقافة ، كما قيل بحق . ومن أكبر الأخطار التى تتهدد ذلك التعليم السعى إلى النجاح فى الامتحانات بالطرق الآلية ، التى تنتهى غالبا بخنق الفكر وصد النفس ، وحشو الذاكرة بالمحفوظات ، وانقطاع الصلات الشخصية بين الأستاذ والطلاب ، والنظر الى هؤلاء وكأنهم « أرقام » توضع لسد خانات ! وشيوع هذا الميل الخطير يجعل التعليم الجامعى على هامش الحياة ، ويصيره تعليما « مدرسيا » عقيما لا يلائم تطور المجتمع الحديث ولا يوافق غاية التربية الأصيلة . وينبغى أن لا ننسى أن هدف التعليم الجامعى هو تربية المواطن الصالح وتكوينه تكوينا مدنيا اجتماعيا إنسانيا . ومن أجل ذلك وجب أن يعنى أستاذ الجامعة بتفسير الوقائع التى يدرسها تفسيرا علميا محايدا ، وأن يهتم بغرس الثقافة المنهجية الدقيقة ، وإشاعة روح النقد النزيه ، وتزكية الشعور بالمسئولية

وهذا هوما يعبر عنه باسم « الروح الجامعية » . واذا سيطرت هذه الروح على التعليم الجامعى نتج عنها تقديس الحرية فى مختلف مظاهرها ، حرية القول والكتابة والتفكير ، ونتج عنها التسامح بازاء الغير ، والترحيب باختلاف الآراء والعقائد ، متى توافر فى أصحابها الصدق والإخلاص .

و إذن فليس من حق السلطات الحاكمة أن تتدخل فى التعليم الجامعى فى ناحيته العلمية أو الفنية : لا يحل لها أن تعهد إلى أستاذ الجامعة تعليم بعض المبادىء المعينة دون بعضها الآخر ، أو أن تجعل منه داعية إلى مذهب بعينه أو مبشراً لعقيدة مفروضة ، بل ينبغى أن تترك التعليم الجامعى مفتوحاً لجميع التيارات الفكرية والشعورية ، مستقبلاً لجميع المطامح البعيدة الصادرة عن الأمة ، بحيث يكون معبرا عن هموم عصرنا وشكوكه وآماله وأحلامه ، تعبيراً بعيداً عن أهواء الساعة ومنازعات السياسة ومعارك الصحافة وصخب الشارع .

مهما تختلف آراء البيداجوجيين ، فإن الغاية العليا من التربية هى تحقيق الحرية للناس ، بتحرير عقولهم ونفوسهم وتحقيق المساواة المدنية بينهم ، ومحو مابينهم من فروق غير طبيعية ، أعنى تلك الفروق

الاجتماعية التى تجعل الفروق الطبيعية أليمة لا تطاق . ولا شك أن ارتقاء التعليم العام ، والتعليم الجامعى بوجه خاص ، يجعل من الحرية أمراً واقعياً ، لا كلمة رخيصة تدور على كل لسان ويسمعها الناس فى المجالس والاجتماعات ، ويقرأونها فى الصحف والكتب ، وبعبارة أخرى يجعلها حقا من حقوقهم ، يعرفون كيف يمارسونه ، ويستمتعون به ، ويناضلون من أجله ، ولا يستطيعون الحياة بدونه .

وإذا أقمنا التعليم الجامعى على مبادىء سليمة ، كمحبة المواطنين بعضهم بعضاً ، والاحترام العميق لكل عقيدة مخلصة ، والتسامح المتبادل ، وممارسة الحرية ممارسة حكيمة ذكية ، أصبحت مهمة الجامعة إقامة الانسجام بين تربية الشبيبة وبين الفكر الحديث ، وتسليحها ضد الزيغ والضلال . ولكن ليست مهمة الجامعة أن تقرر أين يكون الخطأ ولا أين يكون الصواب ، وليس شأنها أن تلقن ما ينبغى أن يعتقد ولا ما ينبغى أن يرفض ، وليست وظيفتها أن تعد أى قيد للعقول والنفوس ، وإنما وظيفتها الحقيقية أن تكشف عن الطالب غطاءه ليكون بصره حديداً : وعندئذ يستطيع أن يميز بين الأمور مختارا ويتيسر له أن يحكم بنفسه على الأشياء والأشخاص أحكاما خالية من

التعصب والهوى ، وتيسر له فى جميع الأحوال أن يشاهد وأن يحكم وأن يستنتج ، لكى يعمل عند الاقتضاء وفقا للقانون الأعلى الذى هو قانون العقل : وذلك هو صميم الروح الجامعية .

* * *

٢ — وبما أن الغرض الثانى من أغراض الجامعة هو العمل على تقدم المعارف البشرية عن طريق البحث العلمى البرىء ، فقد وجب على أولى الأمر أن يهيئوا للجامعة وسائل ايجاد البيئة العلمية اللازمة للتوفر على البحث . ولا شك أن من أول الوسائل لهذه الغاية اختيار أساتذة من ذوى الكفايات الحقيقية ، مشهورين بالإخلاص والنزاهة العقلية ، بعيدين عن الدعاية والتهريج ، ثم رفع مرتباتهم ، وتقليل عدد محاضراتهم ، وتزويد الكليات بما يلزمها من معامل ومكتبات .. وبالإجمال يجب أن تهيأ لأساتذة الجامعة كل وسائل الحياة من أجل العلم ، حتى يكون لديهم دائما من الوقت والمال وهدوء البال ما يعينهم على المضى فى بحوثهم على خير الوجوه .

فالعمل على تقدم العلم وتشجيع البحث العلمى من أهم أغراض الجامعة . لأن للعلم ثلاث وظائف كبرى كما قيل : عقلية واقتصادية

وأخلاقية : هو عقلى لأنه خالق للحقيقة ؛ وهو اقتصـــادى لأنه مولد للثروة ؛ وهو أخلاقى لأنه موزع للنور فى المثل العليا التى يستطيع النـاس أن يترسموها . والانقطاع للبحث العلمى هو رسالة الجامعة الأصلية ؛ ولـكن الجامعـات لانستطيع أن تؤدى هذه الرسالة إلا إذا تم عملها فى جو من الحرية التامة ، والا إذا تآزر جميع الأعضاء فى كل هيئة جامعية ، وبالتـالى إلا إذا تآزرت جميع العلوم التى تمثلها ، وساهمت فى حياة واحدة تتجاوز التخصص الذى لاغنى عنه وتخلق عند الجميع وجداناً واحداً يخضع لقانون واحد .

ولا ينبغى أن يكون للبحث العلمى إلا غاية واحدة ، هى الظفر بالحقيقة . فليس أبشع من أن نجعـــل الجامعات آلات لأصحاب السلطان ، أو أبواقاً تردد مايريده الحـكام ، بل الشرف الصحيح والفضل الحقيقى للدولة إنما يكون فى التضحيات البريئة التى تبذلها للجامعات ، لـكى تصبح محاريب للثقـافة الإنسانية الحرة ، التى تتحمس للحقيقة وحدها ، ولا تتأثر بالأهواء والعصبيات .

* * *

إن جمال العلم وجلاله أن يكون مقصوداً لذاته لالشىء سواه .

من أجل ذلك وجب أن يُقبل العلماء على بحوثهم ، خالين من كل غرض ، متجردين من طلب المنافع التى يمكن أن تنتج عنه . وتاريخ العلوم يشهد بأن المعارف العلمية ما ازدهرت ولا ارتقت إلى رتبة العلم الحقيقى إلا بعد أن أنقطع العلماء للبحث لذاته ، مبرأين من طلب المصلحة ، غير ناظرين إلا إلى جلال الموضوع وشرفه : وهذا هو صميم العلم وجوهره الباقى على الزمن .

رسالة الجامعيين *

نشر الثقافة فى محيط أوسع

بينت فيما تقدم أن رسالة الجامعة تنتظم غرضين أساسيين : الأول تكوين الصفوة المختارة من شبيبة الأمة و إعدادها لقيادة بلادها ؛ والثانى العمل على تقدم المعارف الإنسانية بتشجيع البحث العلمى البرىء .

وأود الآن أن أذكر الجامعيين بأن عليهم رسالة ، هى فى الحقيقة امتداد لرسالة الجامعة . واكبر ظنى أن الجامعيين مقدرون لها ، فخورون بها ، حريصون على أدائها . ورسالة الجامعيين — سواء أكانوا من أساتذة الجامعة أو من الخريجين المشتغلين بغير التعليم — عبارة عن العمل على نشر الثقافة فى أوسع مدى ممكن فى البلاد ، أى نقلها من الدائرة الضيقة ، دائرة الكليات المختلفة فى الجامعة ، و إيصالها إلى جمهرة المثقفين فى الأمة .

---

* الأهرام ٣٠ / ١٢ / ١٩٤٨

ولكى يؤدى الجامعيون رسالتهم كاملة، ينبغى عليهم أن يشاركوا فى الحياة العامة مشاركة فعالة : وطريق ذلك المؤلفات ، والمحاضرات العامة ، والمقالات فى الصحف والمجلات ، واذاعات الراديو ، والمساهمة فى الهيئات والجماعات العلمية والفنية خارج الجامعة .

على أن ذلك الأمر يحتاج إلى كثير من الحكمة والاعتدال : فقد يخشى أن يجد بعض الجامعيين فى اكتساب الشهرة الرخيصة وتحقيق المنافع الوقتية ، والاستجابة للمغريات الخارجية ، ماقد يستهويهم بريقه فيصرفهم عن أداء واجباتهم الجامعية الأصلية . والأمر بالطبع موكول إلى ضمير كل شخص و إلى شعوره بالتبعة القومية وتقديره للأمانة العلمية .

و إذن فواجب الجامعيين أن يذيعوا العلم فى الجمهور، وأن يبعثوا فى جميع البيئات اهتماماً بتفهمه والثقة فيه ، وأن يشركوا اكبر عدد من الأفراد فى متعه ومباهجه ، وأن يثيروا فى الناس ذلك التطلع العقلى الذى هو أساس كل ثقافة والذى يمتد بالإنسان المفكر حتى الموت . وواجبهم بالإجمال أن يعملوا على أن يقووا فى نفوس الشعب تلك المشاركة الروحية الملائمة للتطور الراهن، والتى بدونها لا يكون هنالك

أمم حقيقية ، بل قطعان من البشر . والذى يضع الأسس الأولى لهذه المشاركة الروحية فى مجتمعاتنا الحديثة إنما هى الجامعات .

ولكى يلائم ذلك التعليم جميع الحاجات ينبغى أن يكون حياً ومبسطا ، يعنى مثلاً باذاعة المكتشفات الحديثة فى العلوم أو فى الصناعات أو فى الآثار ، وايقاف الجمهور المستنير على روائع الفن والأدب والفلسفة وتفسير القوانين وبسطها عند إصدارها ، وعرض المشكلات السياسية والحلول المختلفة التى يمكن أن تقترح لها : هذه هى التربية القومية التى هى فى الوقت نفسه تربية انسانية.

إن تصورنا الأمور على هذا النحو ، أدركنا المهمة الجامعية بمعناها الصحيح : فبدلاً من أن تكون الجامعة مدرسة مؤلفة من معلمين يلقنون وطلاب يحفظون ، تصبح محراباً للثقافة الإنسانية ، يمكن كل إنسان من الوقوف على جميع أنواع المعرفة أو الحصول على المنهج الذى يعينه على اكتسابها ، وتصبح منارة تضىء لكل انسان ، كما يقول الإنجيل ، وتصبح الروح الجامعية فكرة فعالة تشعل المثل الحى فى قلوب الشبان ، وتحثهم على الخلق والابتكار واقتفاء الرائدين الآفاق

الجديدة . وعندئذ تستطيع الجامعة والجامعيون أن يؤدوا رسالتهم على الوجه السليم .

وخلاصة تلك الرسالة كشف الغطاء ، والاستقلال العقلى ، والإخلاص فى خدمة العلم ، والبحث عن الحقيقة لذاتها ، والدفاع عن الحرية والمحافظة على القيم الروحية .

مهمة الجامعات الحديثة

اختلفت الآراء فى مهمة الجامعات الحديثة . ولكننا نستطيع أن نقول إن من فكروا فى هذا الأمر فريقان : أحدهما يرى أن مهمة الجامعة هى العمل على تقدم المعرفة ونشر الثقافة العامة . والثانى يرى أن الغرض من التعليم الجامعى هو خلق صفوة مختارة من ذوى المواهب والكفايات .

* * *

ومذهب الفريق الأول مبناه أن « تقدم المعرفة ونشرها » هو الأصل فى إنشاء الجامعات ، كما يشهد بذلك أغلب الدساتير والمراسيم الجامعية ، وأن لفظ « الجامعة » نفسه إنما يفيد فى أصله اللغوى امتداد المعرفة وشمولها ، و إن كان يدل من الناحية التاريخية على « هيئة » أو « منشأة » تشمل مجموعة من الأساتذة والطلاب لها وظائفها وامتيازاتها . ومؤدى هذا الرأى أن رسالة الجامعة تهدف إلى

---

* الأهرام ٢٣/٨/١٩٥٠

التعليم الشامل « الجامع » الذى تتميز به عن التعليم العالى فى معاهده الأخرى : ذلك أن العلوم ، على اختلاف فروعها وتباين شعبها ، مرتبطة ارتباطا وثيقاً بحكم كونها صادرة عن الذهن الانسانى الذى لا يكاد يختلف عند الناس فى الغالب الأعم . وقد اقتضى ذلك أن يكون بين العلوم تعاون متبادل يحقق النفع المرجو من شمول المعرفة بها . وغنى عن البيان أن هذا النظر لا ينفى فكرة التخصص فى التعليم الجامعى : فإن التخصص نتيجة لازمة لاتساع مجال المعرفة الإنسانية اتساعاً يتعذر معه استيعابها والإلمام بها جميعا ، مما أوجب تقسيمها وتفريعها . على أن هذا التفريع لتحقيق معنى التخصص لا يعنى انفصال هذه العلوم بعضها عن بعض ، إذ أنه لاغناء لأحدها عن الآخر ليكمل بعضها بعضا أو يوضح الغامض منها . وإن الطابع المميز للتعليم الجامعى — عند أصحاب هذا الرأى [١١] هو تحقيق مستوى رفيع من الثقافة العامة ، نتيجة لتقدم المعرفة عن طريق التخصص والانقطاع للبحث . ومن أجل هذا رأينا من أنصار هذا الرأى من يخلصون إلى أنه من الممكن تصور قيام جامعة حديثة ، بغير طلاب يتلقون العلم بها ، وتكون مقصورة على فئة من العلماء ألفت بينهم الرغبة فى التفرغ

للبحث العلمى ، ابتغاء الوصول إلى الكشف والإبداع .

* * *

أما أصحاب الرأى الثانى فيسلمون بأن البحث العلمى وظيفة أساسية فى حياة الأستاذ الجامعى : لأن من المحال القيام بتعليم فرع من فروع الاختصاص فى الجامعة على الوجه الصحيح ، بدون تعمقه وتغذيته على الدوام بالآراء الجديدة ولكنهم يلاحظون أن هنالك منشآت أخرى — كالأكاديميات العلمية والأدبية — قد تفوق الجامعات قدرةً على أداء رسالة البحث العلمى وتوسيع دائرة المعرفة الإنسانية . فهذا النوع من المنشآت هو الذى ينصرف إلى البحث ويعكف على العلم لذاته دون نظر إلى إذاعته على الطلاب . وفكرتهم فى ذلك أن الجامعات إنما أنشئت « لتعليم » المعرفة الشاملة لطلاب يرون أن يظفروا بثقافة عامة مستقرة . أما الأكاديميات فمقصدها البحوث الجديدة التى ترمى إلى الكشف العلمى و إلى تقدم المعرفة . ولا يخفى أن العلم والكشف وظيفتان متميزتان ، وهما أيضا موهبتان مختلفتان ، وقلما توجدان مجتمعتين فى شخص واحد . والواقع أن التعليم يقتضى التزامات اجتماعية كثيرة قد تحول دون العكوف على

البحث الخالص وطلب الحقيقه لذاتها ، فى حين أن الانقطاع للبحث والكشف يقتضى قسطاً من الهدوء والتجرد عن مشاغل التدريس . وأنه لما كانت الغاية من التعليم عندهم هى إيجاد أذهان مبتكرة أو على الأقل ذات حاسة نقدية مرهفة ، فقد رأوا هذه المرحلة من تاريخ الإنسانية تقضى بأن تكون المهمة الكبرى للجامعات هى إيجاد الصفوة المختارة من الشبيبة و إعدادها لقيادة أمتها قيادة روحية ومادية .

* * *

ولكن ماهذه الصفوة ؟ وما الحاجة إلى إيجادها ؟

ليست الصفة فئة مثقفة مقفلة ، تتمتع بامتيازات وراثيـة غير مكتسبة ، وإنما هى طبقة تختار كل عام من بين جميع طبقات المجتمع ، وتمتاز بأنها ذات وحدة فكرية وشعورية و إرادية ، أى أنها ذات عقلية ثقافية موحدة ، ومنها يتكون الرأى العام المستنير . ومن خصائص هذه الصفوة الممتازة وقوفها على التيارات الفكرية الكبرى فى العالم الحديث ، و إدراكها الواقع المادية المؤثرة فى المجتمع الحاضر ، وشعورها بأنها مسئولة عن قيم الحضارة ، واتفاقها على وجوب الدفاع عن هذه القيم . وتجارب التاريخ تشهد بأن أمة

لانستطيع أن نحيا فى مستوى الحضارة بدون هذه الصفوة التى تفهم عصرها وتوجه مجتمعها ، وتزوده بالأذهان المبتكرة ، وتجعله قادراً على أن يلائم بين نفسه وبين أحوال الوجود المتغيرة المتجددة . وما دامت هذه الطبقة غير موجودة فى الأمة وجوداً طبيعياً أو تقليدياً ، فقدلزم أن نعمد إلى اتخاذ الوسائل الكفيلة بإيجادها . والجامعات هى المنشآت الوحيدة التى تستطيع اليوم أن تقوم بهذه المهمة على خير الوجوه .

* * *

تلك خلاصة لرأيين مختلفين فى وظيفة الجامعات الحديثة . ويبدو لنا أن جمهرة المهتمين بهذا الموضوع ، بعد أن خاضت فى مجادلات كثيرة وأقوال متعارضة ، لم تتفق إلا على أمر واحد : هو أن الجامعات ضرورية للمحافظة على قيم الحضارة . ونحن مازلنا نعتقد — وقد بسطنا رأينا فى ذلك فى المقالين السابقين — أن رسالة الجامعة هى تحقيق هاتين الغايتين معاً ، إذ لا تنافر بينهما فى الواقع ، خصوصا إذا لوحظ أن ميزة التعليم الجامعى هى فى الجملة تثقيف الذهن ، بالعمل على تقويته وثباته وإحاطته ، وما ينتج عن ذلك

من تهذيب النفس ، بتعويدها السيطرة على انفعالاتها ، والتزام سبيل الجد فى سلوكها . ولا يخفى مايكون لذلك من أثر عميق فى حضارة المجتمع .

* * *

و بعد فيحلو لنا اليوم أن نسجل ازدهار الحركة الجامعية فى بلادنا ازدهاراً جعل الجامعة أشد اتصالاً بالرأى العام وأبعد أثراً فى الحياة الاجتماعية . ولا شك عندنا فى أن الجامعات حين تؤدى هذه المهمة الحيوية إلى جانب مهمتها العلمية ، وحين تطرح مادرجت عليه بعض المعاهد من حصر مهمتها فى تخريج الطلاب وتزويد البلاد بحملة الشهادات ، تستعيد تراثها التليد ، وتصبح بحق سلطة كبرى تعدل فى نفوذها إحدى سلطات الدولة الثلاث .

كلية الانسانيات *

ضرورية لتحقيق الرسالة الجامعية

هذه فكرة جديدة انتهيت إليها بعد كثير من النظر والروية فى أمر الجامعات وما ينبغى أن تكون عليه حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها . لقد بينت من قبل أن إيجاد صفوة من الشبيبة المثقفة وإعدادها لقيادة بلادها قيادةً روحية علمية هو إحدى المهمتين الرئيسيتين للجامعات الحديثة . وأرجو أن أبين اليوم أن الوسيلة المثلى لتحقيق هذه الرسالة هى إنشاء كلية جديدة ، شبيهة من بعض الوجوه بكلية الآداب ولكنها مخالفة لها من حيث الأسس والأغراض ، ويمكن أن نطلق عليها اسم « كلية الإنسانيات » .

* * *

إن الهيكل القديم لكليات الآداب فى الجامعات القائمة يتصل بحالة من حالات المجتمع قد تغيرت منذ زمان . فلا بد إذن من إعادة

---

* الأهرام ٣١ / ٨ / ١٩٥٠

النظر فى ذلك الهيكل والاستعاضة عنه بهيكل جديد يكون القصد منه تزويد الأمة بطبقة جديدة متجانسة من المثقفين . وأقصد بالمثقفين أولئك المستنيرين الواقفين على التيارات الحيوية للفكر وللشعور فى عصرهم ، والملمين بالفلسفات الظاهرة أو الكامنة فى الأفعال الفردية والجماعية ؛ و بالجملة أولئك الذين تمت شخصياتهم ونضجت عقولهم وانصقلت أذواقهم ، فأصبحوا « رجالا أفاضل » ومواطنين صالحين .

ومعنى هذا أن التربية الأخلاقية والاجتماعية هى التى ينبغى أن تشغل مكان الصدارة فى الجامعات ، وأن برامج التعليم فيها يجب أن تتناول دراسة مستفيضة للعموميات . والتعليم الجامعى الذى يحقق هذه الغاية هو ذلك الذى تكون فيه الفروع المختلفة للمعرفة مؤتلفة فى كل منسجم ، وتكون أنواع الدراسات فيه عامة ، منسقة ، متصلة بحياة المجتمع اتصالاً وثيقا . فليس ثمة فائدة ترجى من حفظ معلومات قد لا يستطاع تطبيقها ولا الاستعانة بها على مواجهة مشكلات الحياة .

ولكى نصل بهذا الصدد إلى مقترحات عملية ملموسة نقول إن طلاب « كلية الإنسانيات » يجب أن يلموا بالعناصر الضرورية فى

ستة ضروب من المعارف قد تبدو مختلفة ولكنها متساندة متآزرة . وهى :

(١) علم البيولوجيا (علم الأحياء) : والقصد من دراسته معرفة الإنسان من ناحيته البدنية ، وأى نوع من الكائنات الحية هو ، وكيف وصل إلى ما هو عليه الآن بدنياً ، وما أحوال بقائه فى هذا الوجود .

(٢) علم النفس وعلم « الانثرو بولوجيا » (التاريخ الطبيعى لأجناس الإنسان) ، وعلم الاجتماع (بما يتضمنه هذا العلم الأخير من دراسة مبادىء القانون والاقتصاد والسياسة) : وذلك لمعرفة الأفكار والهيئات والأحوال التى تجعل للجنس الإنسانى حياته الخاصة التى تميزه مما عداه .

(٣) علم التاريخ : والقصد منه الإلمام بالأحداث والحركات الإنسانية الكبرى وما حصل للجنس الإنسانى فى الزمان الماضى .

(٤) الفلسفات والأديان : وذلك للوقوف على أسس القيم فى حياة الإنسان الروحية ، ولمعرفة الأفكار والمشاعر المتعلقة بالأمور الجوهرية التى تهم الإنسان من حيث هو إنسان .

(٥) الآداب العالمية والفنون الجميلة : للوقوف على روائع ما أبدعته الإنسانية فى حياتها الأدبية والفنية .

(٦) علوم الطبيعة والجغرافيا والفلك : الوقوف على البناء الطبيعى للعالم الذى يعيش الإنسان فيه .

* * *

هذه الأقسام الستة من المعارف هى « إنسانيات » العصر ، ومدار الثقافة الحيوية فى المجتمعات الحاضرة ، والجوهر الصحيح للفكرة الجامعية . وليس المقصود فى « كلية الإنسانيات » دراسة مواد التخصص لذاتها دراسةً تحليلية ، بل المهم أن نواصل التفكير فيها ، لكى ننسجم مع العصر الحاضر ، بفضل النور الذى تلقيه عليها الأجزاء الأخرى من المعرفة الحالية . من أجل هذا وجب أن يكون منهج البحث فى الكلية الجديدة قائما على « التأليف » دون التحليل أو التخصص بالمعنى المألوف فى سائر الكليات ، وأن يكون هدف الدراسة هو التفكير فى قيم الأشياء ، بمعنى أنه يجب على طالب « الإنسانيات » أن يسائل نفسه دائما : أهذا يستحق العناء ؟ أهذا

علاقة بالحياة التى نحياها اليوم ؟ وفيم يؤثر هذا فى فكرة الإنسان عن نفسه وطريقته فى النظر إلى الأشياء ؟

* * *

وقد يسأل البعض : لم نعهد برسالة تكوين الصفوة إلى « كلية الإنسانيات » دون غيرها من كليات الجامعات ؟

وجوابنا على ذلك أن عمل الكليات الأخرى محدد بنفس طبيعة التعليم فيها : فالعلم يرينا كيف تجرى الأشياء فى العالم المادى ؛ والتطبيقات العلمية تهتم بوسائل التأثير فى ذلك العالم . أما كلية الإنسانيات فتهتم كما قلنا بالقيم الإنسانية ، وهذه موضوعات خارجة عن مجال الدراسات فى الكليات الأخرى . وليس معنى هذا أن العلماء والتطبيقيين لا ينتمون إلى صفوة الأمة : فمن حيث إنهم أفراد قد تكون لهم ثقافة ذاتية ممتازة . والواقع أنهم ينتمون إلى الصفوة ضرورة ، من حيث إن الصفوة هي الهيئة الموجهة للمجتمع . ولكن ما نخشاه هو أنهم قد ينزعون فى توجيهاتهم إلى غايات تعنى بالنتائج العملية الآلية عناية مفرطة .

لذلك نجد أن لكلية الإنسانيات وظيفة أخرى لا يستهان بها

ولا تقل أهمية عن وظيفة ايجاد الصفوة ، وهى إيقاظ غيرها من الكليات الجامعية وتنبيهها إلى الشعور بالقيم الإنسانية .

* * *

نستطيع إذن أن نقول مطمئنين إن القائمين على أمر التعليم الجامعى عندنا لو استجابوا لدعوتنا هذه وأنشأوا « كلية الإنسانيات » فى جامعة مصرية جديدة كجامعة إبراهيم ، لكان ذلك منهم حركة مباركة محمودة ، وخطوة عملية ضرورية فى سبيل تحقيق الرسالة الجامعية ، التى هى فى صميمها رسالة توجيه وتهذيب وتفهم إنسانى عميق .

الحياة فى الجامعات الفرنسية *

بدا لى فى هذه الآونة التى يشرف فيها على وزارة المعارف المصرية أستاذ جامعى كبير، معروف بصفاء الذهن و بعدالهمة وسعة الأفق، أن ألقى نظرة سريعة على الحياة فى الجامعات الفرنسية التى لها فى رسوخ تقاليدها وازدهار العلوم فيها ما يصح أن يتخذ قدوة لجامعاتنا المصرية. ولعل فى هذه النظرة ما ينفع الجامعيين عندنا أو ينفع غيرهم من المعنيين بالشئون العامة إذا أرادوا أن يطلعوا على شىء من أهداف التعليم الجامعى فى البلاد الأخرى.

* * *

أول ما يسترعى النظر فى الجامعات الفرنسية ما يسود جوها من البساطة والديموقراطية والجد: تتجلى البساطة فى المبانى ومحتوياتها البعيدة عن الفخامة والزخرف والترف، كما تتجلى فى التعليم وقلة ميل القائمين به إلى المراسم والمظاهر الخارجية. فقد يقضى الطالب مدة الدراسة كلها فى فرنسا، وقلما يرى تلك الثياب المزركشة الملونة

* الأهرام ٢١/١/١٩٥٠

أو تلك الشارات المميزة المتعددة المألوفة فى بعض الجامعات الأوروبية الأخرى . وتتجلى الديمقراطية فى إطلاق لقب واحد ، هو لقب « مسيو » على جميع من فى الكليات من أشخاص ، سواء أكانوا أساتذة أو طلاباً أو موظفين . وحتى الألقاب الجامعية نفسها لا يميل الفرنسيون إلى إعلانها ؛ فمع أن أغلب أعضاء هيئات للتدريس فى الجامعات الفرنسية من الحاصلين على الدكتوراه ، إلا إنك قلما تسمع أحداً منهم يتحدث عن مدير الجامعة أو عميد الكلية أو أستاذ المادة ، فيلتقبه بلقب سوى « مسيو فلان » ... أما الجد فيتجلى فى الإقبال على العمل والحرص على سماع المحاضرات والمطالعة فى المكتبات . والطلاب هناك حريصون على الجلوس فى قاعات المحاضرات قبل حضور الأستاذ بزمن كاف : فليس من اللائق عندهم أن يدخل الطالب أثناء الدرس الذى ينبغى أن يسوده من جانب الجميع سكون تام لا يسمع فيه إلا صوت المحاضر . أما مكتبة الجامعة فما تكاد تفتح أبوابها فى الصباح الباكر حتى تجدها قد ازدحمت على سعتها وشغل الطلاب والطالبات مقاعدها . ومعظم الطلبة يقضون نهارهم فى المكتبة يطالعون و يبحثون : فليس المعول فى الجامعات

الفرنسية على التلقين أو على المذكرات والمحاضرات التى يلقيها الأساتذة ، بل المعول على الجهود الشخصية والمطالعات المستقلة التى يقوم بها الطلبة أنفسهم ، وما مهمة الأستاذ إلا التوجيه والإرشاد . وفى ذلك يقول أحد مفكرى الفرنسيين : « لا يقتصر عمل الجامعة على أن تعطى كل طالب القدر اللازم له من المعارف ، بل تفتح الأذهان باتساع أفق تعليمها وبما تهيؤه من أسباب الاتصال بين شبان من ذوى المواهب المختلفة ؛ فغرضها الأسمى أن ترتفع بأذهان الطلبة فوق المعلومات الجزئية التفصيلية ، لتجعلهم أهلاً لمنزلة الكرامة وهى الاستقلال فى الحكم والاستقلال فى الرأى » .

* * *

وللجامعة عند الفرنسيين قداسة وكرامة . ومن تقاليد الجامعات الفرنسية أنها تستبعد من التعليم كل الميول السياسية أو الحزبية . فالجامعيون هناك أحرار فى الجهر بآرائهم خارج الجامعة ، شأنهم فى ذلك شأن سائر المواطنين ، ولكنهم إذا وضعوا أقدامهم داخل الحرم الجامعى أصبحوا جامعيين لا غير ، لا يعنيهم إلا المحافظة على سمعة الجامعة وكرامتها . وقد قضيتُ فى باريس ثمانى سنوات ، فما رأيت

الطلبة يتظاهرون أو يتجمهرون أو يضربون عن العمل ، وما رأيت طالبا يخطر بباله أن يدخن فى مدرج الكلية أو فى قاعة المحاضرات أو على مرأى من الأساتذة ، وما رأيت أحداً يحاول أن يهرج أو يحدث شغبا بين الطلبة فى الجامعة ؛ ولو قد حدث شىء من ذلك لمنعه الطلبة بأنفسهم من غير حاجة إلى السلطات الجامعية : ذلك أن الطلاب هناك يقدرون معنى الحرية الحقيقية ويدركون أنها لا يمكن أن تقوم إلا فى حدود النظام .

* * *

ومن التقاليد الجامعية الجميلة أن يقام عند افتتاح العام الدراسى احتفال جامعي كبير ، يحضره رئيس الدولة ورئيسا الشيوخ والنواب وأعضاء الهيئات الدبلوماسية وكبار موظفى الدولة ، ويخطب فيه عمداء الكليات الأربع ، أى عمداء الحقوق والآداب والطب والعلوم ؛ فيتحدث كل واحد بدوره عن الآثار العقلية والنظريات الطريفة لبعض الممتازين والمتخصصين من الأجانب والوطنيين ممن تمنحهم الجامعات درجة الدكتوراه الفخرية . ثم يختتم الاحتفال بخطاب

جامع يلقيه مدير الجامعة ، فيوجه فيه الحديث إلى الشبيبة الجامعية محاولاً أن يتعقب أهدافها وأن يرسم صورة لمثلها العليا ومطامحها .

* * *

وهناك ظاهرة لا يفوتنى أن أنوه بها : أكثر طلاب الجامعة يعتزون بجامعيتهم ، ويرون أنهم فى هذه المرحلة من التعليم قد أصبحوا رجالا ، وأن من خصائص رجولتهم أن يستقلوا بتدبير شئونهم ، وأن يكسبوا رزقهم بجهودهم ، وأن لا يكونوا عالة على أهلهم وإن كانوا من أهل الثراء .

عرفت بباريس طالبين بكلية الآداب ينظمان وقتهما لحضور المحاضرات بالمناوبة بينهما . وكانا يشتغلان « جرسونين » فى بعض المقاهى : يذهب أحدهما إلى الجامعة للاستماع إلى المحاضرات وتقييدها والاطلاع على المراجع فى المكتبة ، ويبقى صاحبه فى المقهى لخدمة الزبائن . ويعود الأول إلى المقهى فيقوم بنوبته فى الخدمة ، بينما يذهب الثانى إلى الجامعة ، ثم يلتقيان فى المقهى للمذاكرة والمراجعة .. وعرفت طالباً بكلية الطب كان يستعين على كسب قوته بالعمل بعض الوقت فى دكان حلاق . وكثيراً ما كنت أراه يطوف على

بعض زملائه فى منازلهم ، فيحلق لهم رءوسهم وأذقانهم بطريقة فنية مبتكرة ، اشتهرت بعدذلك بين الطلاب فدرت عليه ربحاً كثيراً .. وعرفت طائفة من الطلبة الميسورين، تعاونوا على إنشاء مطعم رخيص للطلبة فى الحى اللاتينى ، وجعلوا طهى الطعام فيه من نصيب الطلاب والخدمة على الزبائن من نصيب الطالبات ..

* * *

« أيها الشبان ليجعل كل واحد منكم شعاره أن يسائل نفسه أولاً : ماذا صنعت لتعليم نفسى ؟ فإذا تقدمت به السن فليسائل نفسه : ماذا صنعت لوطنى ؟ حتى تحين الساعة التى يحظى فيها المرء بأكبر سعادة إذ يشعر بأنه قد ساهم بشىء فى تقدم الإنسانية وخيرها » .

هذه كلمة قالها « باستير » فى الاحتفال ببلوغه سبعين عاما ، موجهاً الحديث فيها إلى الشبان الفرنسيين ؛ ولست أجد أبلغ منها فى تلخيص ما يمكن أن يسمى دستور الطلاب فى الجامعات الفرنسية بل فى كل جامعة مدركة لحقيقة رسالتها .

الحياة فى الجامعات الأمريكية

أظهر ما يسترعى الانتباه فى الجامعات الأمريكية دوام التنافس والتسابق بينها . والمسألة الأولى عند أولى الأمر فى تلك الجامعات هى كسب النفوذ والشهرة والصيت ، لما لذلك من أثر فى اجتذاب الطلاب واجتلاب التبرعات . ومجالس إدارة الجامعات تضع هذا الأمر نصب أعينها دائماً ، حتى ليخيل أحياناً أنها تعيش فى جو من التنافس شبيه بما يكون بين أرباب الصناعة أو التجارة . ذلك أنه لما كان أغلب الجامعات الأمريكية مشروعات أهلية ، فإن مستقبلها ومواردها المالية تعتمد على شهرتها ، لأن التبرعات الأصلية لاتكفى حاجيات النمو والتوسع المستمر . ولقد قرأت بهذا الصدد أن الجنرال «أيزنهاور» حين عين مديراً لجامعة كولومبيا فى نيو يورك ، عبر أحد أساتذة تلك الجامعة عن ارتياحه لذلك التعيين بقوله : « إن أيزنهاور زعيم ، ونحن نحبه ونحترمه ، ولا سيما أنه رجل ذو أسنان جميلة : فابتسامته ستجتذب السيدات الموسرات ، وجامعة كولومبيا محتاجة إلى تبرعات . . » !

لذلك تجد الأمريكيين يعهدون بالمناصب الكبرى فى الجامعات لا إلى المسنين من الجامعيين ، بل إلى الشباب من أرباب الأعمال والأموال ، وربما كان هذا راجعاً إلى إيمانهم بفلسفة العمل — « البراجماتزم » — التى بشر بها فيلسوفهم وليم جيمس ، فصادفت هوى فى نفوسهم . لذلك نجد كل جامعة تحرص على الأساتذة ذوى الشهرة والنجاح ، وتسعى كل واحدة إلى إغرائهم بالمال الوفير حتى لنشهد بهذا الصدد بين الجامعات نوعاً من المزايدة ، لأن كلا منها تريد أن تظفر بمن تمتاز بهم عن غيرها . ولهذا السبب أيضاً تبذل الجامعات الأمريكية جهوداً كثيرة لاجتذاب أبطال الألعاب الرياضية — وأبطال كرة القدم على الخصوص — وتستهويهم بما تقدم إليهم من مغريات وما تمنحهم من امتيازات . وانتصار فريق كرة القدم فى جامعة من الجامعات الأمريكية يجعل لها فى نظر الجمهور نفوذاً وسحراً لا يبارى ، وقد يكون له من الأثر فى رفع اسمها و إعلاء شأنها فى مدة وجيزة أكثر مما تستطيع أن تظفر به الجامعة بعد سنوات طويلة من الانقطاع للبحث العلمى والإنتاج الرفيع . وهذه الأخلاق قد رسخت فى عقليات الناس هناك رسوخاً جعل أقوى

شخصية جامعية بعد شخصية المدير هى شخصية «كوتش» الجامعة، وهو أحد أبطال كرة القدم القدماء : ومهمته اختيار فريق الرياضيين وتدريبهم ؛ وهو مسئول أمام السلطات الجامعية عن السياسة التى تتبع فى المباريات ، وهو يتناول مرتباً يزيد بكثير على مرتب أستاذ اللغة اليونانية أو اللاتينية .

* * *

والحياة فى الجامعات الأمريكية تجرى فى مكان مغلق يطلقون عليه اسم « كامبوس » قد توافرت فيه جميع أسباب الدرس والراحة والسمر : ففيه ساحات للرياضة والألعاب ، وقاعات للمحاضرات والمكتبات ، وأماكن المطاعم والاجتماعات . والحياة الجامعية هناك تعين على توطيد الصلات بين الأساتذة والطلاب : فقد جرت العادة فى الكليات أن يوضع فى جداول الدراسة ، علاوة على المحاضرات العامة ، عدد من الحصص يتمرن فيها الطلاب تحت إشراف الأستاذ مباشرة . وفى هذه الساعات يجتمع الأستاذ بعدد قليل من الطلاب ، ليبحثوا المشكلات التى أثيرت فى المحاضرات ؛ وفى هذه الدائرة الضيقة أو الحلقة الصغيرة من الأستاذ وتلاميذه

تتضح الصعوبات وتتكشف الشخصيات .

* * *

وليست الجامعات ، فى نظر الأمريكيين ، مقابر الأموات . ولا متاحف للآثار والعاديات ، ولا أبراجاً عاجية تلوذ بها طائفة من الباحثين والمتخصصين ، وإنما هى كائنات حية تنمو وتزدهر وتساير الحياة فى المجتمع . ويتجلى الميل إلى الحياة الاجتماعية عند الشبيبة الأمريكية فى عناية الجامعات بمداومة الاتصال بالرأى العام ، عن طريق الإذاعة والصحافة ، كما يتجلى فى إنشاء الجمعيات الكثيرة واللجان المختلفة ، يشرف عليها طلاب منتخبون من زملائهم ، وتكون مهمتها تنظيم الحياة داخل الجامعة ، فتشرف على حفلات الترفيه والسمر والتمثيل والموسيقى والرقص والمحاضرات . وبهذا تقوم الجامعات الأمريكية برسالة فى التربية القومية لا تقل خطراً عن رسالتها العلمية : تبث فى الطلاب معانى التضامن والتآلف ، وتمدهم بالوسائل العملية التى تعدهم لأن يصبحوا فى المستقبل عمالاً لغرس بذور المودة و « حسن الجوار » بين المواطنين .

* * *

وأغلب الجامعات الأمريكية أهلية ، والقليل منها تابع للدولة و بعضها تابع للبلديات . وقد تسمى الجامعة باسم مدينة من المدن الأمريكية ؛ ولكن ليس معنى هذا بالضرورة أنها تابعة لتلك المدينة فى إدارتها ، بل معناه أنها موجودة على أرضها . وقد تجد فى مدينة واحدة جامعتين ، كما هو الحال فى عاصمة الولايات المتحدة ، إذ نجد فيها « جامعة نيو يورك » إلى جنب « جامعة كولومبيا » ، والجامعة الأخيرة هى أشهر الجامعتين .

لذلك تميزت الجامعات الأمريكية باستقلالها عن الدولة فى تدبير شئونها ، وعدم خضوعها لسلطة واحدة : فكل جامعة هناك لها طابعها الخاص ، وعقليتها الخاصة ، ولها إدارتها ، ولوائحها ، وتقاليدها ، ومواردها المالية الخاصة .

وهذا التنوع فى إدارة الجامعات الأمريكية مظهر من مظاهر الاستقلال الذى يحرص عليه الأمريكيون حرصاً شديداً .

* * *

وما من شك فى أن حجر الزاوية فى نظام التربية الأمريكية هو تقديس الفرد واحترام الشخصية الإنسانية . لذلك كان الهم الأول

للتعليم ، منذ المدارس الابتدائية ، هو بث روح الابتكار والشعور بالمسئولية لدى التلاميذ .

والأمريكى يثق مبدئياً فى الإنسان أياً كان ، بغض النظر عن أصله ، أو ماله ، وجاهه . ويبدو أن موقفه الأول فى معاملة الناس هو أن يعطى كل فرد فرصة ليجرب حظه ويظهر مواهبه وينبه شأنه فى الدنيا . فإذا خاب ظنه فى شخص جازاه على ذلك الجزاء الأوفى ، ويتجلى هذا الموقف على الخصوص فى معاملة الفتيان والمراهقين . وللشبيبة فى فلسفة الولايات المتحدة الأمريكية مكان الصدارة فى مشاريع الحياة جميعاً : لأن عهد الشباب فى نظر الأمريكيين هو « أزهر عهود الحياة » كما يقولون ؛ إنه العصر الذهبى للاحتمالات المختلفة التى تتكشف عنها الشخصية الإنسانية فى المستقبل ؛ والشباب هو التمهيد للطريق الذى يراه دستور الولايات المتحدة طريقاً طبيعياً للانسان وهو « البحث عن السعادة » .

ولما كان الواجب عندهم أن تكون الشبيبة سعيدة فقد لزم أن تعامل بقدر كبير من التسامح والتساهل .

* * *

لكن هذه النقط المشرقة اللامعة فى الحياة الجامعية الأمريكية لاينبغى أن تحجب عنا نقطاً أخرى سوداء قاتمة : فقد قرأت الكثير عن الجامعات الأمريكية ، واستخلصت مما قرأت أن الشبيبة الأمريكية غير مستمسكة بالقضايا المثالية ، بل ولا بالقضية الإنسانية على العموم .

وقد يتجلى ذلك فى قلة الميل إلى الدراسات القديمة البريئة ، والانصراف عن البحوث الأدبية الخالصة ، وقلة الإهتمام بما يسمى بالعلوم الإنسانية أو «الإنسانيات» ، بالقياس إلى الإقبال الشديد على الدراسات النفعية ، كالعلوم الصرفة والقانون والطب والاقتصاد السياسى . وقليلون جداً من الشبان الأمريكيين يهتمون بدراسة شىء من الشعر والأدب الخالص ؛ وأكثر الطلاب لا يقرأون — فيما عدا كتبهم المدرسية المقررة — إلا الجريدة اليومية أو مجلة النادى أو نشرة الرابطة ؛ وهم فى ذلك كأغلب الأمريكيين الذين يميلون إلى مطالعة المجلات و « المختارات » أكثر مما يميلون إلى دراسة الكتب والمطولات . والمجلات الأمريكية نفسها قلما تعنى بالأدب أو النقد الأدبى أو الفلسفة . والسواد الأعظم من القراء لا يدرى شيئاً عما يكتبه الجامعيون .

والروايات التى يقرأها الناس هناك — وأصحابها غالباً من ذوى الأسماء الطنانة — إنما يقرأونها لا حباً فى الاستطلاع ، بل طلباً للمنفعة ، لأنها تبحث فى مشكلات اجتماعية أو سياسية أو جنسية . أما روائع الكتب الفلسفية والأدبية التى أبدعتها الإنسانية المفكرة فى عصورها الزاهرة فقد أعرضوا عنها أو لم يبالوا بها ، فحرموا أنفسهم بذلك من الانتهال من المنابع الصافية للحياة الروحية التى لا غنى عنها فى أى عصر من عصور الحضارة .

تنظيم الجامعات المصرية*

نشرت فى « الأهرام » منذ سنوات مقالاً عنوانه « الجامعة فى خطر » تناولت فيه بالنقد ما بدا لى من عيوب فى نظام الجامعة المصرية ، وأهبت فيه بالمسئولين أن يلقوا بالهم إلى ماتغلغل فى تلك المنشأة العلمية من مساوئ الارتجال والمحسوبية وآفات الوصولية والحزبية . وفى مقالات أخرى حاولت أن أبين طريق الإصلاح وأن أحدد « رسالة الجامعة » و « رسالة الجامعيين » فى المجتمع الحديث .

ولكن كان الجبن والنفاق بعض رذائل العهد البائد ، فكان طبيعياً أن لاتجد فيه صيحة النذير بالخطر ولادعوة النهوض بالإصلاح ، قلوباً واعية أو آذاناً مصغية . أما اليوم ، وقد شملنا العهد الجديد بظله الوارف ، فيحلو لى أن أتقدم إلى رجال حركتنا الوطنية

---

* الأهرام ٧ / ٩ / ١٩٥٢

المباركة بمقترحين مجملين ، دعوت إليهما تفصيلا فى محاضراتى وأحاديثى إلى تلاميذى منذ سنين .

الاقتراح الأول يرمى إلى تسمية جامعاتنا بأسماء المدن التى تنشأ فيها ، لا بأسماء الأشخاص أيًا كانوا . وليس هذا الاقتراح بدعاً ، بل هو فى صميمه عود إلى الوضع الطبيعى السليم الذى اتخذته « الجامعة المصرية » نفسها عند إنشائها ، وهو وضع متفق مع التقليد الجامعى الصحيح الذى عرفته البلاد العربية ذات النظم الجامعية العريقة . إذا تقرر هذا فإنى أقترح أن تسمى جامعة فؤاد باسم « جامعة القاهرة » وجامعة فاروق باسم « جامعة الاسكندرية » (وهذا ماطالبتْ به جامعة فاروق غداة تنازل الملك) وأن تسمى جامعة محمد على باسم « جامعة أسيوط » وأن يجرى الأمر على هذا النحو بالنسبة للجامعات الأخرى ..

أما جامعة إبراهيم ، فلا معنى لوجودها فى القاهرة كجامعة مستقلة . أليس من المضحكات أن ترى فى العاصمة وحدها جامعتين فى حين أن سائر المدن المصرية الكبرى فى الأقاليم تكاد تكون محرومة من التعليم الجامعى ؟ وأين الديمقراطية فى هذا الوضع الغريب ؟

إنه ثمرة لعقلية من عقليات المترفين والإقطاعيين ! وأظننى فى غير حاجة إلى أن أذكرهم بأن فى فرنسا مايقرب من عشرين جامعة موزعة توزيعاً طبيعياً على مختلف المدن فى المقاطعات الفرنسية ، ولم تظفر باريس — مدينة النور — من ذلك العدد الوفير إلا بجامعة واحدة .

و إذن فينبغى ، بالنسبة لجامعة ابراهيم ، أن تنقل كلياتها التى أنشئت حديثاً ، إلى إحدى المدن الكبرى كطنطا أو المنيا أو المنصورة .. وأن تسمى تلك الجامعة باسم المدينة التى تنقل إليها .

وفى هذا الاقتراح مزايا ظاهرة : منها تغلغل الثقافة فى الريف المصرى ، والنهوض به اجتماعياً ، وتخفيف الضغط عن جامعتى القاهرة والاسكندرية ، و إقامة الطلبة فى بيئة صحية وعلى مقربة من ذويهم . .

* * *

والاقتراح الثانى يقصد إلى حصر أساتذة كليات الجامعة فى أربع كليات فقط ، فى الآداب والعلوم والحقوق والطب . وهذا أيضاً هو الوضع الطبيعى الذى كانت عليه الجامعة المصرية ، وهو

الوضع المتفق مع الفكرة الجامعية والمتبع فى الجامعات الفرنسية التى اقتبسنا الكثير من نظم التعليم فيها . أما «الكليات» الأخرى التى ألحقت بالجامعة ، كالهندسة والتجارة والزراعة والطب البيطرى ودار العلوم ، فليست فى الأصل كليات كما هو معلوم . فينبغى ، تمشياً مع منطق الفكرة الجامعية ، أن تعود هذه إلى ما كانت عليه قبل إلحاقها ، وأن تسترد اسم «المدارس العالية» . وأقول مثل هذا أيضاً عن « المعاهد » المختلفة التى أصبحت حديثاً تابعة لجامعة ابراهيم : من الخير أن تحتفظ بطابعها الأصلى ، وأن تظل معاهد لها رسالتها المتميزة عن رسالة الجامعة . ولقد بسطتُ هذه الفكرة فى مقالاتى السابقة ، فليرجع إليها من شاء ، وأكتفى هنا بأن أنبه إلى خطر التغرير بالأمة فى شئون العلم والتعليم ، وأعتقد أنه قد آن الأوان لأن تنكشف النفسيات « الدنلوبية » التى مازالت مهيمنة على مصائر الثقافة المصرية . إن من الأوهام الشائعة فى مصر أن « الكليات » أرفع قدراً من « المدارس العالية » ! ولكن البلاد الأوروبية — وهى أعرق منا ثقافةً — لا ترى هذا الرأى ؛ ففى فرنسا من المدارس العالية « كمدرسة المعلمين » و مدرسة « السنترال »

ومدرسة « البوليتكنيك » ماشهدت له الدولة الفرنسية وشهدت له البلاد الأجنبية بالتفوق على كثير من الكليات ؛ وما من أحد هناك يرتضى أن تضم تلك «المدارس» إلى حظيرة الجامعات . وأستطيع أن أقول فى غير إسراف إن «مدرسة دار العلوم» المصرية، التى شهد لها الأستاذ الإمام بالفضل منذ نصف قرن ، قد استطاعت بإخلاصها لتاريخها ، ومحافظتها على رسالتها ، أن تتفوق على « كلية دار العلوم » التابعة الآن لجامعة فؤاد .

* * *

وبعد فهذان افتراحان بسيطان يرميان — فى غير طنطنة أو ادعاء — إلى وضع الأمور فى نصابها الصحيح ، وإقامة العدل فى توزيع النور على المديريات ، وتقويم المعوج ، و إصلاح ما أفسدته الأهواء والعصبيات . والافتراحان بعد هذا عمليان ، ولا يكلفان الدولة مالاً ، و يعودان عليها بخير كثير ؛ و إنى لأرجو أن يتدبرهما القائمون بالأمر فى العهد الجديد .

كرسى محمد عبده فى جامعة فؤاد الأول *

تستعد جامعة فؤاد الأول للاحتفال بعيدها الفضى قريباً . والإعتراف بالفضل يقضى على هذه الجامعة بالذات وعلى غيرها من الجامعات المصرية أن تذكر فى هذا المقام ، مع وافر آيات التمجيد والإجلال ، اسماً لعلم من أعلام مصر الحديثة وقائد من قادة الفكر فيها : هو الأستاذ الإمام محمد عبده . فالواقع أنه إذا كانت الأجيال المصرية الناشئة تذكر للأستاذ الإمام عمله فى ترقية الصحافة العربية وجهاده لتحرير الوطن ، و بلاءه فى إصلاح الدين ، وسعيه إلى تحرير الفكر من قيود التقليد ، فمن الإنصاف أن لا تنسى هذه الأجيال فضل الإمام فى الدعوة إلى إنشاء الجامعة المصرية . وقد شهد بهذا الفضل المسيو «جرمان مارتان» الوزير الفرنسى ، وسجله فى مقال له فى مجلة «العالم الإسلامى» التى كانت تصدر فى باريس . بل لقد ذهب محمد عبده من التفكير إلى التنفيذ ، فبذل جهوداً كثيرة حتى أقنع سرياً

---

* الأهرام ٢٩/١٠/١٩٥٠

من سراة المصريين — هو أحمد المنشاوى باشا — بأن يوقف لبناء الجامعة قطعة أرض فى ضواحى القاهرة ، وشرع المنشاوى باشا فى إعداد العدة لذلك سنة ١٩٠٥ ولكنه قضى نحبه فوقف المشروع .

* * *

وقد كتب الشيخ محمد عبده نفسه يدعو إلى هذه الفكرة فى « وصيته السياسية » التى نشرها دوجرفيل سنة ١٩٠٥ ضمن كتابه عن «مصر الجديدة» فقال رحمه الله : « إذا نظرنا إلى التعليم الذى تنشره الحكومة من حيث قيمته ، فنحن مضطرون إلى أن نلاحظ أنه لايكاد يقدر إلا على تكوين رجل محترف بحرفة يكتسب منها عيشه ، ومن المستحيل أن يستطيع هذا التعليم تكوين عالم أو كاتب أو فيلسوف ، فضلاً عن تكوين نابغة . وكل مالدينا من المدارس التى تمثل التعليم العالى فى مصر إنما هى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة الهندسة . وأما بقية الفروع التى يتكون منها العلم الإنسانى فقد ينال منها المصرى صوراً سطحية فى المدارس الإعدادية ، ويكاد يكون من المستحيل أن يتقن منها شيئاً ، وهو فى الغالب مكره على أن يجهلها جهلاً تاماً ؛ وذلك شأن علم الاجتماع وفروعه التاريخية

والخلقية والاقتصادية ، وذلك شأن الفلسفة القديمة والحديثة ، والآداب العربية والأوروبية ، والفنون الجميلة أيضاً : كل ذلك مجهول لا يدرس فى مدرسة مصرية . والنتيجة أن فى مصر قضاة ومحامين وأطباء ومهندسين ، تتفاوت كفاياتهم قوةً وضعفاً فى احتراف حرفهم . ولكنك لا ترى فى الطبقة المتعلمة الرجل الباحث ولا المفكر ولا الفيلسوف ولا العالم ، لا ترى الرجل ذا العقل الواسع والنفس العالية والشعور الكريم ، ذلك الذى يرى حياته كلها فى مثل أعلى يطمع فيه ويسمو اليه ...»

* * *

وبعد أفلا يحق لنا نحن تلاميذ الإمام وأبناءه الروحيين — والجامعيون كلهم وعلى رأسهم وزير المعارف هم من تلاميذ الإمام ومريديه — أن نطمع من القائمين على الأمور فى جامعاتنا المصرية أن يبادروا بإنشاء «كرسى للآداب» فى جامعة فؤاد يطلق عليه اسم «محمد عبده» ؟ ومن ذا الذى هو أولى بالتكريم من فلاسفة الأمة وعلمائها وأدبائها وقادة الرأى فيها ! أليسوا هم مفاخرها اللامعة وذخائرها الغالية ، وأليسوا هم عماد الحضارة وحملة الثقافة وهداة الإنسانية .

خطاب مفتوح *

إلى طلاب الجامعات المصرية

أصدقائى :

واسمحوا لى أن أدعوكم « أصدقائى » ، فقد كنت ولا زلت مغتبطا وفخورا باكتساب صداقة تلاميذى : وهاهى ذى رسائلهم العديدة أتلقاها منهم فى الفينة بعد الفينة ، وألتذ بقراءتها من حين إلى حين ، وكلها ناطقة بهذا الشعور الفياض الذى انطوت عليه جوانحهم ، فحطم القيود الرسمية ، وحملهم على أن يفضوا إلىّ بمشاكلهم الشخصية وما يعتلج فى نفوسهم من آلام وآمال .

وأبادر يا أصدقائى بأن أبعث اليكم أصدق التهنئة بالعام الجديد تستقبلونه بعد الوثبة الوطنية الكبرى لتحرير البلاد من الطغيان وتطهيرها من الفساد .

وبودى أن يكون كل واحد منكم واعياً لمبادىء العهد الجديد ،

* الأهرام ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٢

عهد الحرية والعدالة والكرامة ، حريصا على أداء واجبه فى بنائه وتدعيم أركانه ، حتى يكون جديراً بشرف الانتساب إلى هذا الشعب العظيم الذى يحقق المعجزات .

* * *

وأود أن أوجه نظركم أولاً الى ركن خطير من أركان الإصلاح فى العهد الجديد ، وهو إتقان العمل . ويحلو لى أن أقص عليكم بهذا الصدد قصة « هنرى شيرارد » أستاذ اللغة اليونانية بأحد المعاهد الأمريكية . كان رجلا يعشق التعليم لذاته ، لا لكسب العيش . وكان من الرجال القلائل الذين يبحثون عن الكمال ويطلبون المثل الأعلى .

روى عنه أنه بدأ دروسه فقال لتلاميذه : « أنتم تريدون إذن أن تتعلموا اللغة اليونانية . إنه لمطمع نبيل ، ولكنى أرجو أن تعلموا ما أنتم بسبيله . إننى « عدو للجيد » . إنى أقول هذا جادا ؛ أنا لا أحب الطلاب « الجيدين » ، بل أحب الطلاب « الممتازين » . وأكره الترجمة « الجيدة » ، ولا أحب إلا الترجمة « الكاملة » . لا وسط عندى : فإما أنكم تعلمون أو لا تعلمون ، وإما أنكم تعملون شيئا أو لا تعملون . وسأبذل جهدى لتعليمكم اللغة اليونانية ؛ ولكنى أطالبكم

أن تبذلوا جهدكم لتعلمها . والسبيل إلى ذلك عندى واضحة : يلزمكم أن تصلوا كل يوم الى « أحسن » درجة ، ويلزمكم أن تنطقوا « أحسن » نطق ، وأن تترجموا « أكمل » ترجمة . ولكى أعينكم على طلب الكمال سألزمكم أن تكتبوا تصحيح كل غلطة على السبورة عشر مرات ؛ فإذا عدتم الى الغلطة بعد هذا جعلتكم تكتبون تصحيحها مائة مرة . والآن لنبدأ دراسة اللغة اليونانية » .

الحق أن طلاب جامعتنا محتاجون الى أساتذة من طراز هنرى شيرارد ، ليبثوا فى النفوس حب الإتقان وطلب الكمال ، لا فى تعلم اللغة اليونانية فحسب بل فى كل شىء . والحق أن الأنسان إذا استطاع أن يصل إلى الكمال فى أمر صغير استطاع أن يصل إليه فى أمر آخر وأمر ثالث ، واستطاع أخيرا أن يصل إلى الكمال فى أمور كثيرة . ونحن نستطيع أن نقدر الرجال — الأساتذة والطلاب وغيرهم — وفقاً للقاعدة التى رسمها مستر شيرارد : مادام الشىء يستحق أن يعمل فهو يستحق أن يعمل باتقان ، وما يستحق أن يعمل بإتقان يستحق أن يعمل على وجه الكمال .

* * *

فلتكن طريقة ذلك الأستاذ شعاراً لكم ، أيها الأصدقاء ، فى تفكيركم وفى حياتكم : إما أن تعلموا أو لا تعلموا. فإذا كنتم لاتعلمون فابحثوا حتى تجدوا . وهذه هى الطريقة المثلى للشخص العادى لكى يحقق الإمكانيات المذهشة التى توجدفيه . و إن تجربة رجل راض نفسه على طلب المثل الأعلى لهى شىء يتجاوز التعليم بكثير ، إنها تحول دينى فى نظر العارفين .

والمثل الأعلى إذا تعلقنا به وسعينا إليه بعث فينا حماسة ويقيناً ، ونشط الذهن والقلب جميعا ، واستولى علينا لحظات ، فجردنا عن أنانيتنا ، ورفعنا فوق ذواتنا الحائرة وعلائقنا المادية ، وجعل لحياتنا قيمة ، وأضفى عليها جمالا وبهاء .

و إذا أتيح لكم أن تشاهدوا تصرف رجل لايحب إلا الأكمل والأحسن ، فكأنكم قد تأملتم الكون فى نور باهر جديد . فليكن فى هذا درس لكم لتعلموا أن منشأ البلاء الذى نشكو منه أن هناك قوماً لا يؤمنون بالكمال ؛ فتراهم يقنعون بنصف المعرفة ، ويقتصرون على نصف العمل ، ويميلون إلى التهاون والإهمال ، و يبررون قلة صبرهم على العمل وقصورهم عن الإتقان بأنهم قوم واقعيون ، وأن

الكمال شيء عسير فى هذه الدنيا . ولكنى أقول لكم إن «المثاليين» و « الكماليين » هم الأحياء وهم السعداء . فالأستاذ الذى يلقى على الطلاب درساً « من غير نفس » هو أستاذ بائس ، والطالب الذى يدرس « من غير نفس » إنما هو طالب فاشل . إن شرط العمل العظيم أن يؤديه المرء برغبة وحماسة ، بعد أن يكون « قد وضع فيه روحه كلها » . وفى هذا سر السعادة : فليست السعادة أن تعملوا ما تحبون، بل أن تحبوا ما تعملون .

وأعقل العقل عندى أن تعملوا دون أن تفكروا فى منفعة مادية أو ربح عاجل، وأن تحبوا الدراسة لذاتها والعمل لذاته ؛ عندئذ تجدون النشوة فى المعرفة البريئة والسعادة فى العمل المتقن . وفى الحديث الشريف : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ؛ وقد علمتم أن العمل هو أحد الأركان الأساسية لفلسفة العهد الجديد . ومعنى هذا أنكم مقبلون على عهد يتفاضل الناس فيه بالجد المتفائل والعمل الدائب ، لا بالوصولية أو المحسوبية أو التهريج .

* * *

وأوصيكم أن تحافظوا على شباب عقولكم ونضارة قلوبكم مدى

الحياة . فلا تظنوا أن طلب العلم يقف عند حد ، أو ينتهى بالحصول على الشهادات أو الدبلومات ؛ فالشهادات لا تكون الرجال . ولعلكم قرأتم قصة الفيلسوف الأمريكى وليم جيمس : حين كان صبيا سأل أباه عما ينبغى أن يجيب به إذا سئل عن عمل أبيه ، فأجابه أبوه : « قل إن أباك فيلسوف ، أو قل إنه باحث عن الحقيقة ، أو قل إنه مغرم بالإنسانية ، وإن شئت فقل إنه أديب ، وخير من هذا وذاك أن تقول إنه طالب » . وكأن الأديب الكبير أراد بهذا أن يقول لابنه إنه رغم علمه وسنه ذو ذهن متطلع ، لم ينقطع عن الدراسة ، ولا يزال مسافرا على مطية الفكر عبر القرون . ولقد فهم وليم جيمس هذا الدرس عن أبيه ، فأصبح فيلسوفا مشهورا وكاتبا نابهاً .

وكل واحد منكم يستطيع أن يتعلم الكثير عن الحياة فى الجامعة وخارجها . ولقد أصبحت عناصر الدراسة فى متناول كل طالب : أمامكم المكتبات العامة ، تجدون فيها ما تطلبون من كتب ومجلات وبوسعكم أن تعـــدوا لأنفسكم دفاتر تقيدون فيها ما يروقكم من ملاحظات واقتباسات ، وتستطيعون أن تزوروا المعارض والمتاحف ، وأن تشتركوا فى الرحلات ، وأن تمارسوا بعض الهوايات . والمهم أن

تفتحوا عيونكم على الدنيا بغير فتور ، لتروا الأشياء كما لو كنتم لم تروها من قبل ، وأن تنموا ما لديكم من قوة الملاحظة ، وأن تتطلعوا دائما الى المعرفة . ولا شك أن الدراسة توسع أفاق الذهن ، وأنها وسيلة ممتازة لتنمية الشخصية وازدهارها . ومهما يكن من أمر فإن طلب المعرفة يزيد ثروة نفوسنا ، ويفتح أمام أعيننا نوافذ كثيرة نطل منها فنرى أشياء ممتعة . أنا لا أذكر أنني فتحت يوما قاموسا من قواميس اللغة لأكشف عن كلمة بعينها ، أو رجعت الى موسوعة للبحث عن حقيقة رأى أو مذهب ، إلا وقد عدت من البحث بذخيرة من المعانى والحقائق لم تكن تدخل فى حسبانى . وأنا أعلم أن أوقات الفراغ الطويلة شىء نادر ؛ فإذا انتظرتموها حتى تبدأوا الدراسة فإنكم لن تبدأوها أبداً ، فى حين أن لديكم كل يوم دقائق معدودات فى فترات متقطعة بين مشاغلكم المتنوعة . وفى الإمكان الانتفاع بهذه اللحظات القصيرة ؛ ومع الدأب والمثابرة يستطيع الطالب أن يبلغ من الثقافة حظا موفورا .

* * *

وأمر آخر أحب أن أنبهكم إليه : وهو أنه لا شىء فى الدنيا قد

فُرغ منه فصار عملا تاماً ، ولا شيء قد درس فأصبح معرفة يقينية حاسمة؛ بل إن أبدع صورة فنية لم تُرسم بعد ، وأعظم قصيدة لم يَتغنّ بها شاعر بعد ، وأعظم قصة لا تزال تنتظر من يكتبها .

فأقبلوا على كلياتكم ومعاهدكم متفائلين مستبشرين . ولا تكونوا أقل ابتهاجا بالحياة ، ولا أقل أملاً فى الإبداع من ذلك الرياضى الذى أشرف على الثمانين ، ومع ذلك كان يداوم على التزحلق على الثلج كل صباح ويمضى فيه حتى المساء ، لأنه كان يتوق إلى أن يصبح من أبطال التزحلق قبل أن يموت !

وبعد فالمستقبل لكم ، والدنيا كلها دنياكم ، وهى مليئة بأشياء كثيرة مهيأة لكم ، لتفكروا فيها ، ولتقولوا كلمتكم ، ولتكشفوا وتعملوا ، أو لتجددوا العمل على وجه الإتقان والكمال .

والسلام ...

فهرس الموضوعات

	صفحة
الإهداء	٥
تصدير	٧
الجامعة فى خطر	١٣
رسالة الجامعة	٢١
رسالة الجامعيين	٢٩
مهمة الجامعات الحديثة	٣٣
كلية الإنسانيات ضرورية لتحقيق الرسالة الجامعية	٣٩
الحياة فى الجامعات الفرنسية	٤٥
الحياة فى الجامعات الأمريكية	٥١
تنظيم الجامعات المصرية	٥٩
كرسى محمد عبده فى جامعة فؤاد الأول	٦٥
خطاب مفتوح إلى طلاب الجامعات المصرية	٦٩

كتب للدكتور عثمان أمين

« إحصاء العلوم » للفارابى (مكتبة الخانجى) القاهرة ١٩٣١ الطبعة الأولى (نفذت)

"L'Humanisme de F.C.S. Schiller" ,Le Caire 1939. (Bulletion of the Faculty of arts, vol. IV, part I).

« ديكارت » (مكتبة النهضة المصرية) القاهرة ١٩٤٢ الطبعة الأولى (نفذت)

"Muhammad Abduh, Essai sur ses idées philosophiques et religieuses" (Ministère de l'Instruction publique), Le Caire 1944.

« خصائص الروح الفرنسى » (دار النشر هوروس) القاهرة ١٩٤٤

« محمد عبده » (دار إحياء الكتب العربية)القاهرة ١٩٤٤

« الفلسفة الرواقية » (مكتبة الخانجى) القاهرة ١٩٤٤

« شخصيات ومذاهب فلسفية » (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ١٩٤٥

« ديكارت » (دار إحياء الكتب العربية) الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، القاهرة ١٩٤٦

« دفاع عن العلم » لألبير باييه (دار إحياء الكتب العربية) القاهرة ١٩٤٦

« إحصاء العلوم » للفارابى (دار الفكر العربى) الطبعة الثانية محققة تحقيقا علميا ، القاهرة ١٩٤٨

« التأملات فى الفلسفة الأولى » لديكارت ؛ ترجمة عربية مع مقدمة وتعليقات (مكتبة الأنجلو المصرية) ، القاهرة ١٩٥١

« مشروع للسلام الدائم » للفيلسوف كانت ؛ ترجمة عربية مع مقدمة وتعليقات (مكتبة الأنجلو المصرية) القاهرة ١٩٥٢

« نحو جامعات أفضل » (مكتبة الانجلو المصرية) القاهرة ١٩٥٢

تحت الطبع

« تلخيص مابعد الطبيعة » لابن رشد (مكتبة الحلبى)

« نداء الشرق » لجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده

« الأمبراطور الفيلسوف » (مارك أوريل)

« التمهيد لكل ميتافيزيقا مستقبلة تريد أن تكون علما » للفيلسوف كانت .

American University of Beirut

378
A5InA

General Library

378
A51nA